لغة الطفل العربي والواقع المعاصر

أ/ ونوغي اسماعيل

ج...فرحات عباس سطيف

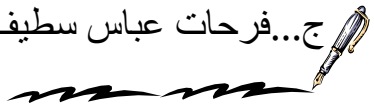

ملخص :

لغة الطفل من أهم القضايا في الوطن العربي؛ من حيث حقيقتها وواقعها وهيئاتها وأهم طرق العلاج لأخطر أدوائها، بوصف اللغة أول ما يقدم الطفل على تعلمه، والمقدرة اللغوية ليست مجرد امتلاك عدد أكبر من الألفاظ، أو القدرة على الكلام، أو التواصل مع الآخرين، وإنما يضاف إليها القراءة، والكتابة، والفهم، والتفكير، وتحصيل المعرفة، وامتلاك الثقافة، وتحقيق الشخصية...لذلك أردت أن أكشف عن بعض هذه الجوانب في لغة الطفل العربي، مستعينا بما قدمه أساتذة وباحثون من مداخلات في المؤتمر الدولي السادس الذي انعقد في دمشق في أيام :5،6،7 نوفمبر من سنة 2007م.

RESUME

La langue de l'enfants affaires très intéressantes dans les pays arabes , se qui concerne sa vérité et sa réalité et sa disposition et les meilleurs voies de traitement de ses maladies très dangereuses .la langue à cause de ça est des premiers des choses que l'enfant vient d'apprendre .La capacité du langage n'est pas seulement la possession d'un grand nombre de mots,ou être capable de parler,ou contacter les autres, mais aussi la lecture,l'appréhension l'intellection l'obtention des connaissances la possession de la culture, l'inquisition de la personnalité …pour cela je viens de démontrer quelques aspects dans la langue d'enfant arabe,à l'aide d'ensemble des conférences des professeurs dans le sixième congrès internationale qui s'est déroulé le 5,6,7,novembre 2007 à Damas sous titre de: la langue d'enfant arabe et l'occurrent contemporain.

منطلق :

نحاول في هذا المقال أن نسلط الضوء على الأهمية التي يكتسيها الأطفال من حيث تربيتهم وتثقيفهم، ولا ننكر أن عددا لا حصر له من العلماء الذين تعرضوا لهذا الموضوع الحساس، لإيمانهم بالمسؤولية والأمانة الملقاة على أعناقهم تجاه هؤلاء البراعم، الذين سيستلمون مشعل الحضارة والتقدم في يوم من الأيام. وقد كان لي الشرف الكبير أنني شهدت المؤتمر الدولي السادس في دمشق الذي انعقد في الأيام 5 ،6 ، 7 ، نوفمبر من سنة 2007 م، شعاره: (لغة الطفل العربي والواقع المعاصر)، وكان هدف هذا الملتقى يدور حول أربعة محاور مختلفة وهي: التواصل اللغوي في العملية التربوية، ولغة الطفل وتقانات

العصر، وأثر الإعلام في لغة الطفل ، وطرائق وتجارب لغوية رائدة في عالم الطفولة ، ولكل محور مما ذكر الأهمية البالغة التي يكتسيها ، وهي متكاملة ومتلاحمة فيما بينها. وسأبقي على شعار الملتقى كعنوان لهذا المقال، بوصفي اعتمدت على كثير من المداخلات التي شهدتها فيه ، ونظرا لكون هذا العنوان شامل لما سأعرض له من نقاط حساسة في تكوين الطفل وتربيته.

والحديث عن تعليم الطفل وتربيته وتكوين شخصيته يقود إلى الحديث عن عدة قواعد ومرتكزات لا مناص من التعرض لها ههنا؛ منها عنصر التربية والتعليم والتثقيف والتكوين. والحق أن تساؤلات جمة تسعى المنظومات التربوية اليوم إلى الوقوف عند حلول ناجعة لها منها على سبيل الحصر؛ ما هو أدب الأطفال؟ وما تاريخه؟ وما صوره التراثية؟ ومن هم رواده وما هي جهودهم؟ وما هي وسائله المتاحة المقروءة والمسموعة ؟ إلى أي مدى بلغ تشجيع الأطفال وترغيبهم في تلك الآداب؟ ...ولكن سرعان ما تغير مسار تلك

التساؤلات، متخذا منحى آخر وهو، ما علاقة أدب الطفل بواقعه ؟ وما مدى التأثير الفني فيه ؟ ثم ما القيم المعتمدة فيه من حيث العقائد والتوجهات؟ وما هي الصورة المستقبلية للطفل العربي؟ وما هي تطلعات الخطاب الثقافي الجديد الموجه للطفل العربي؟ ومن هنا سعى كثير من الكتّاب العرب والأجانب إلى تصميم البرامج المتنوعة، وطرح التصورات المختلفة، بالتركيز على ما له علاقة « بأثر الثقافة العربية السائدة في شخصية الطفل، وأساليب تربية الإبداع والقراءة لديه ؟ ويلاحق أثر وسائل الإعلام في لغته ، وطبيعة الأدب المترجم المقدم له؟ وإشكالية الخيال العلمي ، وتكوين ثقافة الطفل ضمن الصناعة الثقافية العربية ...»[1]

أهمية التربية :

إذا علمنا أن التربية من « ربّاه ونمّاه وغذّاه ونشّأه، ونمّى قواه الجسدية العقلية والخلقية »[2] فإنه يظهر لنا ما لهذه العملية من الخطورة في حياة

الأفراد والجماعات، وما من شك أنه لم تكن للتربية من الخطورة مثل ما هي عليه الآن ، وخاصة في وقتنا الحاضر، إذ تتنازع عنصر التربية في مجتمعاتنا الحالية مجموعة من النوازع من الآمال والمخاوف ، وتواجه تحديات جساما في مجالات الحياة المختلفة، وما تتوفر عليه الحياة الحالية يتميز عما كانت عليه في الأزمنة الغابرة، إذ ما تتوفر اليوم من الفرص والإمكانات لم تشهده أجيال كثيرة في الآماد الغابرة، والحديث عن التربية يقودنا إلى مسألة التعليم ، وما من ريب في أن قطاع التعليم هو أكبر عامل من عوامل التغيير والتطوير على وجه الأرض ، فهو المصدر الذي يؤدي إلى الرخاء ورقي المجتمع والتقدم في الاقتصاد، وإشاعة المعرفة، واتساع الثقافة، وليس ما تحدّه بعض التعاريف في كون العلم يقتصر على التقدم في مجموعة من مجالات حياة محدودة، بل يتعدى ذلك إلى أن العلم يرمي إلى تحقيق غايات أسمى؛ منها نشدان الحرية، وتحقيق العدالة الاجتماعية، والحفاظ على الكرامة الإنسانية.

مهارات التعلم :

أول ما قد يفهمه المرء من المقدرة اللغوية امتلاك عدد أكبر من الألفاظ، أو القدرة على الكلام، أو التواصل مع الآخرين، وهذه هي بعض أشكال المقدرة اللغوية، وليست كلها ، « هي التواصل، القراءة، الكتابة، الفهم، التفكير، تحصيل المعرفة، امتلاك الثقافة، تحقيق الهوية القومية، وهذا العرض لهذه المهارات لا يعني الترتيب، فهي مهارات متكاملة، ولا يعني أنها بمثل هذا التبسيط، إذ تتضمن كل مهارة من هذه المهارات عدة مهارات أخرى فرعية، والمطلوب فيها جميعا هو التحسين، والارتقاء نحو الأفضل ..» [3].

فالمهارات المذكورة سبيل ضروري لتلقي العلوم والمعارف ، فإذا صلحت واستقامت كان الذي يتلقاه المتعلم مفيدا ومثمرا ، وإن كان غير ذلك فلا نرجو من تعليمنا تحقيق الأهداف التي ننشدها ، ولا الغايات التي نرمي إليها.

والحديث عن المهارات يقودنا إلى ذكر الطرق التعليمية التي تعد المكوّن الأساسي من «مكونات المنهج التربوي بمفهومه المنظومي الشمولي المتكامل ، والطريقة التعليمية هي الأسلوب المتبع في إكساب الناشئة المهارات اللغوية. »[4]

إن من أصعب المهارات التي يحتاج إليها الطفل في بداية تعلمه هي اكتساب المعرفة، بوصفها عملية ذهنية معقدة، وليس من طريق ضروري وبدائي للطفل من هذه العملية من اكتساب اللغة، « وإن أية نظرية للغة تشغل نفسها فقط بالظواهر السطحية للغة المنطوقة أو المكتوبة وتغفل أهم خواص اللغة الأساسية وهي أنها عملية ذهنية في المقام الأول . »[5] .

فاللغة هي أولى الضرورات لحياة الطفل منذ ولادته، ومن هنا تتبادر إلى أذهاننا مجموعة من الأسئلة في مقدمتها ؛ كيف يكتسب ذهن الطفل اللغة ؟ وإلى أي حد يمكن أن يصل ذهن الطفل إلى تحصيل اللغة ؟ وكيف يكون للغة هذا الكم الهائل من المفردات والتراكيب التي

تعبر عن معان كثيرة ومتنوعة ؟ .. على الرغم من صعوبة هذه التساؤلات وتعقدها ، إلا أن مجموعة من العلماء والمفكرين ، سواء أكانوا عربا أم غير عرب ،حاولوا الإجابة عنها بقدر ما تيسر وأتيح.

« يبدأ الطفل العربي كغيره من أطفال الأمم الأخرى في اكتساب اللغة من ولادته منذ فترة المناغاة ، والطفل يملك كفاءة لغوية ، أو قدرة فطرية على اكتساب اللغة المستعملة في محيطه، وهذه القدرة اللغوية الفطرية تمكنه من تكوين الفرضيات، واستعمال قواعد خاصة به ، يعدلها باستمرار. » [6]

إن تعلم اللغة من أعقد عمليات التعليم لدى الطفل، وسبب ذلك عدة نواحي مختلفة ؛ فيزيولوجية، واجتماعية، ونفسية ، ولا ننسى الدور الفعال الذي تؤديه الأسرة في زيادة سرعة هذا التعليم ، فأطفال الأسر ذات المستوى الرفيع يكتسبون اللغة أكثر من غيرهم ، ولا ننكر مهمة المدرسة التي تشكل الجزء الاستراتيجي من الوسط الاجتماعي ، فللمعلم اليد الطولى في النهوض بلغة

الأطفال، والارتقاء بها في العملية التعليمية، ومن هنا يتضح عمل المدرسة في إغناء بيئة لغة الطفل بالمثيرات، والأجواء المشجعة على التنمية اللغوية ، وهي فوق ذلك تسدّ ما في لغة الأطفال من ثغرات .

وما دامت المهارة اللغوية هي من أهم أنواع النشاطات التي يقُوم بها المتعلم ، فلا بد من مراعاة بعض الأمور الأساسية فيها ، إذ إنّ اكتساب اللغة لا يختلف عن تعلم أي نشاط آخر مثل الرياضة، والسباحة، والصناعة ...ولما كانت هذه العادات لا تكتسب إلا بطرائق التعليم والتدريب الواعي المنظم والممارسة الميدانية المستمرة كان تعليم اللغة كذلك يرتكز على التعليم والتلقين ونقل المعرفة المتمثلة في المفردات والقواعد النحوية والصرفية والبلاغية والعروضية ...ولكن هذه السبل لا تكفي لتكوين المهارة المطلوبة ، إذ إن المهارة المفيدة والمثمرة هي التي يتمتع بها صاحبها: « بالأداء المتقن القائم عل الفهم والسرعة والاختصار في الوقت والمجهود معا ، فعملية التمهير في

تعليم اللغة وتعلمها هي التي تؤدي إلى أن تغدو اللغة عادة لا عملية التحفيظ والتسميع .. والمهارات اللغوية نوعان ؛ مهارات إرسال؛ وتتمثل في المحادثة، والكتابة، ومهارات استقبال ، وتتمثل في الاستماع، والقراءة.»[7]

وهذه المهارات في وقتنا الحاضر تتطلب العدول عن الطرائق التلقينية التقليدية في تعليم اللغة، ولكن تلجأ إلى سبل تعليمية بديلة أخرى أكثر نجاعة وفعالية، وهذا ما تدعو إليه المنظومة التربوية الجزائرية في السنوات القليلة الأخيرة، وهو ما يعرف بالتعليم عن طريق المقاربة بالكفاءات. وهاهي مفتشية التربية والتكوين تلوح إلى ذلك : « والجدير بالملاحظة ، فإنّ هوة أخذت تبعد المدرسة عن الوضعيات التي من واجبها أن تعمل على إعداد التلاميذ لها، حيث إنّ التّلاميذ مازالوا يتلقون المعارف منفصلة؛ الأمر الذي يجعل هؤلاء التلاميذ مستقبلا، يُعالجون وضعياتهم بشكل ضيق ، منغلق...مثال ذلك : يتمكن هؤلاء التلاميذ من قراءة نص ، غير أنهم يعجزون عن

إدراك معانيه البعيدة، وتوظيفها في حياتهم ، يستطيعون إجراء عمليات الجمع ، لكنهم عندما يكونون أمام وضعية من وضعيات الحياة المعيشة، يعجزون عن معرفة العملية المناسبة لهذه الوضعية...» [8] وهذا يعني عدم وجود ربط بين ما يتلقاه التلميذ في المدرسة من الناحية النظرية ، وبين ما يعيشه في حياته الواقعية، وإذا كان الأمر يتعلق بتعلم اللغة؛ فإن الطفل المتعلم بهذه المنهجية الجديدة في التعليم يمكن أن يوظف معلوماته اللغوية في حياته ، ويجسد سلوكه اللغوي ، ويستطيع أن يكوّن مجتمعا متطورا متحضرا، جراء اللغة السليمة التي تعلمها.

ولتنمية هذه المهارات اللغوية فإنه يجب ضمان عوامل مساعدة على ذلك؛ مثل ممارسة اللغة في المواقف الطبيعية والوظيفية في الحياة، في جو من التشجيع والتعزيز، والتوجيه، والنقاء اللغوي، في معزل عن أي تلوث وفساد.

ولتتحقق هذه المهارة بالصورة المرجوة فإنه يجب مراعاتها منذ نعومة أظفار الطفل، إذ لا يسمح له بتعلم لهجات وكلمات محلية بعيدة عن اللغة التي يتعلمها بالشكل النظامي في المدرسة، والمؤسسة التعليمية، وهذا ما أشار إليه الأستاذ عبد الله الدنان في قوله: « يدخل التلميذ العربي إلى المدرسة في سن السادسة وقد أتقن العامية قبل هذه السن، عندما كانت القدرة اللغوية الهائلة للدماغ على اكتساب اللغات في أوجها ، أي أنه تزود باللغة التي يفترض أن يكتسب بها المعارف المختلفة، وذلك بحسب طبيعته وتكوينه، إلا أنه يُفاجأ بأن لغة المعرفة ليست اللغة التي تزود بها، وإنما هي لغة أخرى لابد له أن يتعلمها ويتقنها لكي يتمكن من فهم المواد المعرفية الأخرى. » [9] وهذا الكلام يؤكد على أن الطفل العربي لا ينطق في تعليمه القاعدي باللغة العربية الفصحى التي بها يأخذ المعارف والعلوم المختلفة في حياته، من المرحلة الابتدائية، إلى آخر مرحلة تعليمية في حياته، واللهجات

المحلية تختلف من بلد عربي إلى بلد عربي آخر، وهي ما تسمى اللغات العامية أو الدارجة، وهي لهجة الجزيرة العربية والعراق، ولهجة بلاد الشام، ولهجة وادي النيل، ولهجة شمال إفريقيا، وهذه اللهجات تحوي لهجات محلية ، بسبب هذا يجد الطفل صعوبة في التعلم الأولي للغة العربية الفصحى، التي لها قواعدها الموصوفة بدقة عالية ، والتي هي سائدة في مجالات الكتابة ، ولا تستخدم في أي جزء من أجزاء المجتمع، وهي تختلف عن اللهجات في معظم تراكيبها، وأشكال ألفاظها، وفي كثير من دلالات مفرداتها.

إذا كان تعلم مهارة اللغة العربية قبل سن السادسة من عمر الطفل العربي تعترضه عوامل أسرية واجتماعية، فيزيد سوءا على ذلك العنصر التربوي، أن لغة التواصل العادي في المدرسة، واللغة التي يشرح بها المعلم المواد العلمية هي اللهجة العامية أو الدارجة، وأن التلميذ لا يمارس اللغة الفصحى إلاّ عند الكتابة، أو القراءة، والمعلم ليس في الوضعية المفضلة لأنه يشرح المادة

العلمية بالعامية، لعدم إتقانه الشرح باللغة الفصحى، والعامل الرئيس في ذلك أنه لم يهيأ لهذه المهمة منذ البداية بالصورة المرجوة، وتكوينه في تكلم اللغة العربية الفصيحة كان قاصرا لأسباب ما، ثم يطلب من تلاميذه الاستعانة بالمراجع المكتوبة باللغة العربية الفصحى، ثم يطلب منهم الإجابة عن الامتحان باللغة العربية الفصحى .. ونتيجة ذلك أن يظل المعلم يشكو عدم فهم تلاميذه ، ومن ضعف أدائهم المعرفي، واللغوي ، ويبقى التلاميذ يشكون صعوبة اللغة العربية، وعسر فهم المواد الأخرى المكتوبة بهذه اللغة.

وقد ترتب على الظواهر الأخيرة عدة أوضاع تربوية، وثقافية ذات انعكاسات سلبية خطيرة، تتوزع بين المعلم والتلميذ والمادة التدريسية، يمكن أن نوجز مجموعة منها في ما يلي :

1- **ما له علاقة بالمعلم :**

نقص تكوين المعلم في مستوى اللغة العربية، من حيث مفرداتها وتراكيبها

ومعانيها ونحوها وصرفها ، ولو كان قد تعلم معارف أخرى غير اللغة العربية ، وعدم مراعاة وجود الاستعداد والقابلية لمهنة التدريس، « إنّ وجود الاستعداد أو القابلية لدى المرشح لمهنة التدريس هو الطالب الذي يتم قبوله ليعد مدرسا في معهد المعلمين أو كلية التربية ..أو أية كلية أخرى تُعده على أسس صحيحة، تقوم على التربية، وعلم النفس ، لأن التعليم مهنة أو صناعة كسائر المهن، يتقنها صاحبها بوجود الاستعداد لديه أولا، وبالتدريب والتمرين عند ممارستها ثانيا .» [10]. فالتكوين السليم والناجح إذا تلقاه من ليس له استعداد بدائي لذلك فلا ننتظر منه أن يكون الإطار المستقبلي المثمر، والفعال، في كل المجالات ، بل سيكون أهم المعوقات في سبيل التغيير إلى الأفضل.

وبضاف إلى هذا الضعف الثقافي للمعلمين الذين لا يملكون الكفاءة الضرورية على التدريس ، ولا يتقنون المناهج التربوية المناسبة ، ويفتقدون إلى المؤهلات التي تعينهم على التحكم

الكبير في مهمتهم التعليمية . كما لوحظ في كثير من الأحيان ضجر القائمين بمهمة التعليم من مهنة التدريس، بسبب ظروف التسيير الإداري، أو القوانين الخاصة بقطاعهم، أو الأجور، أو العلاوات، أو غير ذلك مما ينعكس سلبا على تعليم الطفل، وتربيته، وإعطائه حقوقه الواجبة .

2 - ما له علاقة بالطفل :

إنّ الحديث عن لغة الطفل بالدرجة الأولى معناه دراسة المراحل المختلفة« التي يمر بها الطفل منذ لحظة الميلاد حتى يتحكم في لغة المجتمع الذي ولد فيه ..» [11] وإذا لم يعتن بالطفل العربي منذ الوهلة الأولى من حياته والتي هي بمثابة التربة الخصبة الصالحة للزراعة، والتي تستغل لأول مرة ، فإن ذلك من الأمور التي تكون وبالا على المجتمع كله ، وانعكاسات هذه الظاهرة لا تكون إلا سلبا على كل الأطراف الأساسية في عملية التعليم ، ومن العراقيل التي تقف حائلا دون تحقيق الأهداف المرجوة من التعليم؛ أن الطفل يكلف بما لا طاقة له به ، عندما يطلب

منه أن يحفظ المادة العلمية عن ظهر قلب ، ودون فهم عميق ، فيُحدّ من نموه المنطقي والمعرفي ، فيتدنى مستوى التفكير لديه، ويظهر الفشل في حل المشكلات العارضة له. ويلوح مشكل آخر جراء هذا السلوك، هو تلك الصعوبة التي يجدها التلميذ أثناء الامتحان ، لأنه ليس في إمكانه حفظ الكتاب كله، فيلجأ إلى تلخيصه وتقليصه ، فيستعين بذلك على الإجابة عن أسئلة الامتحان. ثم تتشكل لديه نظرة سيئة تجاه الكتاب المدرسي، فتراه يتخلص منه مباشرة بعد نهاية السنة الدراسية أو قبل ذلك، ولا يحتفظ به للانتفاع به أو المراجعة فيه.

كذلك إذا استمع الطفل إلى شرح المادة العلمية بالعامية أو الدارجة، فإنه يتعسر عليه الرجوع إلى الكتاب المكتوب باللغة العربية الفصيحة، ويجد نفسه قاصرا عن إدراك تلك المادة ، فيبحث عن سبل أخرى للفهم ، فيلجأ إلى الدروس الخصوصية التي تقدم له كذلك بالعامية، فيبقى المتعلم في الدائرة نفسها ولا يخرج منها . ولا يتوقف الأمر

هنا، إنما يتعدى إلى ما هو أشنع وأخطر، إذ تتشكل لدى الطالب العربي فكرة سلبية نحو القراءة والمطالعة باللغة العربية، بسبب عدم القدرة على فهم النصوص العربية من مفردات، وتراكيب، وعبارات ، ولا نستبعد بعد هذا أن ينمو لدى المتعلم شعور بكره اللغة العربية، والنفور من اكتسابها، والنطق بها، والكتابة بها، وقراءة كل ما يكتب بها،فيفقد الطفل حس الاستمتاع بالمطالعة بسبب عدم فهمه ما يقرأ كما أشرنا ، لأن الفهم الذاتي لديه لما هو مكتوب هو أعظم ما يمكن أن يسعى إليه أي نظام تربوي في أي بلد ، فيبذل الطفل في ذلك جهدا كبيرا في فك رموز الكتابة العربية وغيرها، للوصول إلى مستوى القراءة المطلوب.. وربما هذا الذي وضع اللغة العربية في الموضع الحالي ، وهذا الذي قاد إلى تدني مستوى الطفل العربي العلمي، والثقافي.

3 - ما له علاقة بالمادة التدريسية :

لغة الكتاب المدرسي عربية فصيحة ، ولا يعتمد العامية أو الدارجة التي يستعملها المجتمع في حياتهم اليومية ، والطفل يتعلم لأول مرة في حياته ما يجده سائدا بين أفراد مجتمعه ، لذلك يقع صدام بين اللغة العربية الفصيحة في الحياة التعليمية، والدارجة أو العامية في الحياة العملية الواقعية، فينظر الطفل من هذا المنطلق إلى الكتاب المدرسي على أنه محمل صعب من غير السهولة امتطاؤه ، فينشأ خوف منه ، ثم نفور من التعامل معه . وانعكس هذا سلبا على الناشرين إذ تشكل لديهم تحفظ من طبع الكتاب ، وردّ طلبات الناشرين ، بسبب عدم إقبال الطلبة على المطالعة، والقراءة ، وبات التركيز على طبع الكتب المدرسية المقررة في المدارس والجامعات من باب الضرورة.

على الرغم من اهتمام هيئات التدريس في الوطن العربي بالكتاب المدرسي، من حيث شكله ومضمونه، فإن الإقبال عليه ما يزال محدودا، وما تقوم به وزارة التربية والتعليم في الجزائر أمر جدير

بالاهتمام ، فقد قامت في السنوات الأخيرة بإجراء تعديلات معتبرة في قطاع التربية والتعليم، من مستوى السنة الأولى من التعليم الأساسي؛ إلى أعلى مرحلة من التعليم .

« لقد بادرت وزارة التربية الوطنية منذ زمن قريب في تحسين مناهج الدراسة، وإدخال طرائق جديدة في التدريس والتقويم ، وطموح وزارة التربية الوطنية من خلال هذه العملية هو تطوير المناهج التي تقوم على مرتكزات منها بيداغوجية الكفاءات ، التي تستجيب للممارسات البيداغوجية المعاصرة، وإلى تطوير الكفاءات التعليمية لإدماجها في المعارف والمواقف والمهارات ، وهذه العملية تخص كذلك اللغة العربية بجانب من التجديد، والإبداع،كما أنها تساعد على قدرة التفكير لدى المتعلم، وهي كذلك كفاءة تسعى إلى إبراز ما عند المتعلم. »[12]

ومما سبق فإن ما لوحظ من نقائص على أداء المعلم وطبيعة المتعلمين والمادة

التدريسية، فإنه تعدى بذلك إلى ما هو أخطر ، إذ صار شائعا بين المعلمين والمتعلمين أن اللغة العربية الفصيحة صعبة التعلم والفهم، والحفظ، فسرى في نفوس الطلبة كره للغة العربية، ثم نفور منها، وصارت اللغة العربية متهمة ظلما وتعسفا بالعجز والضعف والقصور، ولم يثقل تعلم اللغة العربية على المتعلمين من كونها لغة لها قواعدها وتراكيبها الخاصة، ولا من كونها لغة شعر، وخطابة وتبليغ ، بل تعدى ذلك إلى عدم اكتساب علوم أخرى باللغة العربية كالطب، والهندسة، والفلك، وعلوم الطبيعة المختلفة، ومن هنا صار شائعا عن العرب أنهم أمة لا تقرأ ولا تطالع، وهذا الذي أدى إلى هذا التدني، والقصور في طلب العلم، والمعرفة.

بعض الحلول:

وبعد هذه اللمحة عن أهم المعوقات التي تقف حائلا دون تحقيق الغايات المنشودة؛ من تعليم الطفل منذ الوهلة الأولى من حياته التعليمية، فقد عمل

مجموعة من الأساتذة والباحثين على اقتراح عدد من الحلول، وأرشدوا إلى جملة من المخارج من تلك النقائص؛

يرجى من أولي الأمر بدءا بالأسرة إلى الهيئات التدريسية؛ إلى الوزارة المشرعة للقوانين؛ إلى الحكومات وغيرها أن تضع الطفل في نقطة الكثب ، ولا يغفل عنه منذ الوهلة الأولى من حياته ، من حيث تربيته، وتعليمه، وتثقيفه، وتطويره، وترتيب مراحل تعليمه..وتسعى مجموعة من المدارس في الوطن العربي في عصرنا الحالي إلى العودة إلى الاستعمال الصحيح للغة العربية، وفق مناهج وبرامج متجددة ، وبدا التركيز واضحا على تعلم هذه اللغة، من حيث الفهم والقراءة، والحوار، والكتابة ، وكان القرآن الكريم مصدرا أساسيا في ضمان سلامة اللغة العربية ، «كما أثمر الاطلاع على ما يجري في تعليم اللغات الأخرى تجديدا في وضع المناهج، واصطناع التجريب، والتعديل بما يحقق الغاية . غير أن ما يرجى استكمالا لما جرى أن توضع معجمات تحتوي لغة الطفل في البيئات العربية،

مستمدة مما يتحدث به الطفل في الشأن اليومي، فتكون هناك مقاربة بين ما هو فصيح وما هو دارج ، ولا تكون هذه المعجمات إلا بالفصحى . ومثل هذه المعجمات تساعد واضعي المناهج وكتاب قصص الأطفال في الإذاعة، والتلفزيون، على اختيار الأقرب إلى الفهم، وتجنب العويص.» [13] .

ففي القول الأخير دعوة إلى التوفيق بين اللغة العربية الفصيحة والدارجة أو العامية، ولكن يبقى التعامل مع الدارجة باللغة العربية الفصيحة، فربما نحافظ بذلك على اللغة العربية، ونبقي على أهميتها واستعمالها الصحيح. وربما في القول الأخير ما دعا الأستاذ علي القاسمي إلى الانصباب على الحديث عن اللغة العربية الفصيحة، والعامية أو الدارجة « ..ولما كان للغة العربية مستويان : أحدهما عامي والآخر فصيح، فإنّ الدراسة تتطرق إلى كيفية اكتسابهما، لتعزيز اكتساب اللغة العربية الفصحى بحيث يتمكن منها ، ويستخدمها أداة نفاد إلى مصادر المعلومات؛ ما ييسر إيجاد مجتمع

المعرفة القادر على تحقيق التنمية البشرية .» [14] ومن ثمّ فإن الاهتمام بتعليم الطفل أمر من ضرورات الحياة، وعناصرها الأساسية، ومن شروط الثقافة التي يتلقاها الطفل؛ أن يبذل القائمون عليها الجهد الكافي في إقناع الطفل بها.

« والقضية الرئيسية في معرفة الطفل المتلقي؛ هي أن الثقافة لا تصبح جزءا من سلوك الطفل إذا لم تتمكن من إقناعه، والتأثير فيه ، فإذا راحت تعظه وترشده نفر منها. »[15] .

لا ننسى الإشارة إلى الأهمية التي تكتسيها الطرق التعليمية في عملية التبليغ ، إذ تعتمد التربية المعاصرة حاليا على الأسلوب الانتقائي في التعليم فتختار الإيجابيات من الطرائق، وتتلافى السلبيات ، والمعلم في هذه الحال لا يعلم بمادته فحسب، وإنما يعلم بطريقته وأسلوبه وشخصيته وعلاقاته مع تلاميذه ، ومدى قدرته على وضع نفسه في المثل الأعلى، والقدوة الحسنة ..والمعلم هو

القادر على صنع طريقة التعليم وابتكارها وتكييفها، وفق الظروف التعليمية المختلفة، والمستويات التي يتعامل معها...

يختلف تعليم الطفل تبعا لتباين المهارات المراد تبليغها إياه ، لذلك فالمعلم ووسائل التعليم هي الكفيلة بوضع القواعد المناسبة لكل مهارة من المهارات المختلفة، ولا يسع المجال هنا إلى ذكر طرق كل تلك المهارات، وإنما يبقى هذا دور الهيئات التدريسية المعنية بصورة مباشرة بتعليم الطفل ، ويرشد الأستاذ محمود السيد إلى مجموعة من الطرائق الهامة في تعليم الأطفال حسب نوع المهارة المقصود تعليمها ويدعو من خلالها إلى« عدم فرض الموضوعات على الناشئة من غير تهيئة ذهنية ونفسية ... الابتعاد عن الشذوذ، والاستثناءات والمماحكات، والتأويلات ...الإكثار من التدريبات ... »[16].

وأضيف إلى هذه الاقتراحات اعتماد الوسائل التقنية الحديثة التي باتت ضرورة من ضرورات العصر الحالي.

وقد تعرض أساتذة وتربويون كثيرون إلى مسألة تعليم الأطفال وتدريبهم على المهارات الكثيرة والمختلفة، ويمكن للمهارة الواحدة أن تأخذ قسطا كبيرا من البحث والاستكشاف، وأنا قادم على التوقف هنا أرجو أن أكون قد ألممت بما يجب أن يقال في تعليم الطفل والأخذ بيده إلى ما فيه المنفعة له وللوطن الذي يعيش فيه.

المراجع :

[1] سمر روحي الفيصل ، أدب الأطفال وثقافتهم ، قراءة نقدية ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق: 1998م. ص/5

[2] مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، دار الدعوة ، مؤسسة ثقافية للتأليف والطباعة والنشر والتوزيع ، استانبول - تركيا ، الجزء الثاني ، ص/ 326.

[3] أحمد زياد محبك بن مصطفى ، الحاسوب وتنمية المقدرة اللغوية عند الطفل ، مجمع اللغة

العربية ، دمشق ، المؤتمر السنوي السادس 2007 م ص/1.

[4] محمود السيد ، طرائق تعليم اللغة العربية ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، المؤتمر السنوي السادس 2007 م ص/2.

[5] نبيل علي ، اللغة وتنمية القدرات الذهنية والإبداعية لدى الطفل ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، المؤتمر السنوي السادس 2007 م ص/3.

[6] سمر روحي الفيصل ، أدب الأطفال وثقافتهم ، قراءة نقدية ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق: 1998م. ص/89.

[7] محمود السيد ، طرائق تعليم اللغة العربية ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، المؤتمر السنوي السادس 2007 م ص/4.

[8] مفتشية التربية والتكوين، اللغة العربية وآدابها ، اليوم الدراسي : يوم/ 29 / أفريل / 2003 م ، المقاطعة التفتيشية ، جيجل ـ 36 ـ ثانوية كعولة تونس ، جيجل. ص/2.

[9] عبد الله الدنان ، نظرية تعليم اللغة العربية بالفطرة والممارسة تطبيقاتها وانتشارها ، مجمع اللغة العربية ، دمشق، المؤتمر السنوي السادس 2007 م ص/11.

[10] حسن ملاّ عثمان ، طرق تدريس اللغة العربية في المدارس المتوسطة والثانوية ، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع المملكة العربية السعودية ، الطبعة /2 ، 1463هـ - 2002م ،ص/24.

[11] حلمي خليل ، دراسات في اللسانيات التطبيقية ، دار المعرفة الجامعية ، الفنية للطباعة والنشر ، الإسكندرية ، 1420هـ - 2000م ، ص/ 120.

[12] الجمهورية الجزائرية الدّيمقراطية الشعبية ، وزارة التربية الوطنية ، الكتاب السنوي 2003م، المركز الوطني للوثائق التربوية ، 1 ، شارع محمد خليفي، حسين داي الجزائر - مجلة العربي ـ ص/26.

[13] ياسر المالح ، لغة الطفل في البرنامج التلفزيوني (افتح يا سمسم) - تجربة رائدة- مجمع اللغة العربية ، دمشق، المؤتمر السنوي السادس 2007 م ص/2.

[14] علي القاسمي ، الطفل واكتساب اللغة بين النظرية والتطبيق ، مجمع اللغة العربية ، دمشق، المؤتمر السنوي السادس 2007 م ص/1.

[15] سمر روحي الفيصل ، أدب الأطفال وثقافتهم ، قراءة نقدية ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق: 1998م. ص/118.

[16] محمود السيد ، طرائق تعليم اللغة العربية ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، المؤتمر السنوي السادس 2007 م ص/25 – 29 .